الإمام الحازمي ومؤلفه الأماكن

لعلامة الجزيرة : الأستاذ حمد الجاسر

تمهيد :

تتنوع الدراسات الجغرافية ، وتتسع وتتطور بتطور الحياة في هذا العالم ، وبمؤثراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ أقدم عصور تدوين تلك الدراسات إلى يومنا هذا .

باستثناء نوع من تلك الدراسات لم يُكْتَب له أن يعيش سوى بضعة قرون كانَ حياً نامياً في خلال ثلاثة قرون منها ، ثم فقد ذلك النُّمُوَّ وإن لم يفقد الحياة .

وهذا النوع من الدراسات هو النوع الإسلامي البحت ، المتعلق بمعرفة المواضع التي تُعِين معرفتها على فهم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وما ورد في آثار الصحابة ومن بعدهم مما له صلة بهذا النوع .

لقد ذكر الله سبحانه أُمَما أهلكها ، وسمي مواضع من بلادها كَالْحِجْرِ والأحقاف والرَّس والأيكة .

وذكر أمكنةَ شعائر الحج كالصَّفَا والمروةِ وعرفات .

وأشار إلى مواقع لها صلة بتاريخ الإسلام : (ولقد نصركم الله بِبَدْرٍ وأنتم أذِلَّةُ) . (ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعجبتكم كثْرتكم فلم تُغْنِ عنكم شيئا) .

ثم جاءت أحاديث المصطفى – عليه الصلاة والسلام – بأسماء مواضع ، كحديث قِلاَلِ هَجَرٍ . وبتحديد مواقيت الحج والعمرة المكانية ، وأمكنة حدود الحرمين الشريفين .

وهناك مواضع الغزوات النبوية ، ومواقع السَّرايا وأمكنة الفتوحات الإسلامية في عهد الصحابة فمن بعدهم .

ومن هذا القبيل ما ورد في الشعر الجاهلي وأشعار الإسلاميين ومَخَضْرَمي الدَّوْلَتَينِ من أسماء المواضع ، إذْ فَهْمُ النصوص الشرعية متوقف على فهم اللغة العربية وتلك الأشعار هي مادة اللغة ، وفهمها لايتم إلا بمعرفة تلك المواضع معرفة تامة .

إذ (مالا يَتِمُّ الواجِبُ إلاَّ بِهِ فهو واجبُ) .

ومن هنا اتَّجَهَ علماء المسلمين أولَ ما اتجهوا — للدراسات الجغرافية لتحقيق تلك الغاية أوَّلاً — ولاِطّلاَعِ الإنسان على سعةِ ملكوت الله وعِظَمِ مخلوقاته ، للعظة والعبرة .

ولهذا فإنَّ أَعْظَمَ معجم جغرافيٍ عربيٍ بين أيدينا الآن ، هو « معجم البلدان » ألفه ياقوت على ما ذكر في مقدمته : إن من أول البواعث لجمعه أنه سئل عن حُبَاشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي وهو سوق من أسواق العرب فقال : أرى أنه حُباشة (١) بضم الحاء قياسا على أصل هذه اللفظة في اللغة ، فانْبَرَى له رجل من المُحَدِّثين وقال : إنما هو حَبَاشَة بالفتح وصمم على ذلك قال : فأَرَدْتُ قطع الاحتجاج بالنقل ، إذْ لا مُعَوَّلَ في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل . ثم ذكر أنه ظفر بما يؤيد قوله بعد زمن ، ورأى افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن ، فألف « معجم البلدان » .

ثم يلي « معجم البلدان » في القدر — فيما وصل إلينا من المؤلفات في هذا الشأن « معجم ما استعجم » لأبي عُبَيد البكريِّ الأندلسيِّ ، فقد قال

في مقدمته : (هذا كتاب ذكرت فيه – إن شاء الله – جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار من المنازل والديار) إلى آخر ما ذكر . فقد بدأ بالحديث كما ترى وجاء صاحبنا الإمام الحازمي فقال في مقدمة كتابه الذي خصصنا له هذا الحديث[٢] (وبعد : فهذا كتاب أذكر فيه ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة ، والمواضع المذكورة في مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسراياه وقطائعه ، ومغازي أصحابه والولاة بعدهم ، مُرتَّباً على حروف المعجم ، وربما أشير إلى ذكر بعض البقاع المأثورة في أيام العرب ووقائعها من غير استقصاءِ لذلك وأسْبَاب لِعُزُوبه عن غرض الحَدِيثِيِّ وإنما أذكر منها ما له مَدْخَلٌ في الأَخبار أو اتصال بالأمكنة المأثورة في الحديث ، ليكون أبعدَ من الخبط ، وأقربَ إلى الضبط ، مشيراً إلى ذكر استشهاد إما من الشعر وإما من ذكر إمام ينسب إلى الموضع) . انتهى .

وقبل هؤلاء نحا الهمذاني صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » بتأليف كتابه هذا منحى أعم وأشملَ ، ولكنه لا يخرج عن الموضوع فقال[٣] : (ليكون من نظر في هذا الكتاب كأنه مكان ذِي القَرْنَيْنِ مَسَّاحِ الأَرْض ، وتَمِيم الدَّارِيِّ جَوَّابِ عامرِها ، وخِرِّيت سامرها ليعرف وسِع أَرْضِ ربه ، وكثْرة خلقه ، وسعة رزقه ، لا إلهَ إلاّ هو العزيز الحكيم) .

هذا الجانب من الدراسات الجغرافية التي اتجه إليها علماء المسلمين ، فوضعوا أُسُسَ بنائها ، ورسموا الطريقَ لمواصلة السير فيها لبلوغ ما قصدوه من غايات واضحة ، لم يكتب له النُّمُوُّ ، كما نما غيره من أنواع العلوم الإسلامية الأخرى .

وهذا يرجع إلى أن جزيرة العرب وهي موطن تلك الدراسات – انعزلت عن العالم منذ انتقال الخلافة الإسلامية منها إلى دمشق ثم إلى بغداد ، فبقيت مهملةً من جميع النواحي ، فعادت الحياة فيها إلى طبيعتها قبل الإسلام ، وهي الحياة القَبَلِيَّةُ المعروفة ، وكان من أثرها انتشارُ الفوضى وعدمُ استتباب الأمن ، فصعب الاستقرار فيها لمواصلة تلك الدراسات ، وضعفت عناية علمائها وشعرائها بها ، ووجدوا في حواضر الخلافة من الاطمئنان ورغد العيش ما حملهم على الاستقرار فيها .

وليس الأمر كذلك بالنسبة لِقُطْرَي الحجاز واليَمَن ، فالحج – وهو أحد أركان الإسلام – من مستلزماته إرساء قواعد الأمن لبلوغ المدينتين الكريمتين ، ولهذا عنيت الدولة بذلك ، فكانت الحياة في الحجاز على جانب من الأمن والاستقرار ، وكان علماء الأقطار الإسلامية يتخذون من الحج وسيلة للاتصال بعلماء الحرمين الشريفين ، للاستزادة من علمهم ، لصلتهم بمشاعر الحج ، ولمعرفتهم بالآثار النبوية في المدينة الطاهرة ، فكانت هذه الآثار مما هو في المدينة أو بقربها موضعَ عناية أولئك العلماء في مختلف العصور .

أما اليَمَنُ فهو بلاد حضارة وعلم وحكْمٍ على جانب من الاستقرار ولهذا ازدهرت فيه المعرفة ، في الوقت الذي كان الجهل مُخَيِّماً على أقطار الجزيرة الأخرى .

والآن – بعد أن وهب الله بلادنا من الأمن والاستقرار والرخاء ما تغبطنا به كل أمم العالم بدون استثناء ، وبعد أن تعددت (الجامعات) وتنوعت الدراسة بتنوع (الكليات) . ألا يحق لكل مَعْنيٍّ بالدراسات الجغرافية التوجهُ برجاء إلى هذه الكلية في هذه الجامعة الإسلامية بأن

تخصص فرعاً من فروعها للدراسات الجغرافية الإسلامية وحدها ، إذ هذا الفرع من الدراسات مما يجب على علماء المسلمين أن يولوه حقه من العناية ؟ !

وقل لي بربك : كيف أستطيع أن أفهم ما قَصَّ الله في القرآن الكريم من أخبار عادٍ وثَمُوْدَ وأصحاب مَدْيَنَ وأنا عندما أتناول أقرب ما لديَّ من المراجع وأحْدَثَها أجِدُ فيه من الاضطراب في تحديد مواقع تلك الأمم ما يكون سبباً لضعاف الفهم والمعرفة في الشك في تلك الأمم نفسها – والعياذ بالله – مع أن هذا المرجع قد أُقِرَّ من قبل (مجلس أعلى للشئون الإسلامية) بعد دراسة لجان من (جهابذة العلماء وفطاحل الباحثين والمفكرين) ليترجم إلى اللغات الأخرى⁽٤⁾ .

حقا إنَّ القرآن الكريم قَصَّ أنباء تلك الأمم للعبرة وهي تحصل بدون معرفة المواضع أو الأوقات ، ولكن أليس من الواجب صيانة كل ما له صلة بالقرآن الكريم من وسائل التشكيك التي تثير الظنون السيئة ؟ !

ولنتناول أحد كتب سيرة المصطفى – عليه الصلاة والسلام – أو أحد كتب الحديث⁽٥⁾ – لنعرف مواقع الغزوات أو السرايا التي حدثت بعيدةً عن المدينة إننا سَنَصْطَدِم – أولَ ما نصدم – بالاختلاف في ضبط اسم الموضع الذي وقعت فيه الغزوة أو السَّرِيةُ ، فضلاً عن تحديد الموقع تحديداً يُمَكِّنُ من معرفته بسهولة .

وهذا لا يراد به التقليل من قيمة تلك المؤلفات ، أو الانتقاصُ من قدر مؤلفيها ، فمؤلفوها من العلماء قاموا بواجبهم خير قيام وأخلصوا في عملهم ، وبذلوا جهدهم ، فاستحقوا من الله الثواب والأجْرَ ، ومن كل مسلم الدعاء والشكر .

وقد بقي واجب علمائنا في هذا العصر ، للسير على نهج سلفهم الصالح ، ومواصلة ما بدأوا به من العمل النافع .

ولنستعرض جوانب من حياة إمام من أئمة الحديث ، ممن عنوا بهذه الناحية من الدراسات الجغرافية .

الحازمي : ترجمته ومؤلفاته :

لقد كان من أثر عناية علماء المسلمين بالسنة النبوية الكريمة ، أن تصدّى كثير منهم للتأليف في علوم أخرى لها صلة بها ، كاللغة ، والأنساب ومعرفة الأماكن ، وغيرها من العلوم .

وكان لعلماء أصبهان وهمذان وما يجاورهما من بلاد فارس في القرون الثلاثة الرابع وما بعده عناية بالحديث النبوي ، تكاد تفوق عناية غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى .

ومن علماء همذان — (بالميم المفتوحة والذّال المعجمة) — الحافظ الأمام أبو بكر محمد ابن موسى بن عثمان بن حازم الحازميْ ، الهمذاني .

ولد سنة ٥٤٨ — بقرب همذان ، ونشأ بها وتلقى العلم على علمائها ، ثم انتقل إلى بغداد ، فاستوطنها ورحل إلى الشام والحجاز وفارس ، وغيرها من البلاد في طلب العلم ، حتى بَرَّزَ فيه ، وبزّ أقرانه ، وألف المؤلفات في علم الحديث .

وصفه تلميذه ابن الدُّبَيْثِيِّ في كتابه « ذيل تاريخ بغداد » قائلا : — صار من أحفظ الناس للحديث وأعرفهم بعلومه ومعرفة الأسانيد والاطلاع على حال الرواة ، وتمييز الصحيح والسقيم ، وفهم المتون وفقهها ودخولها في أبواب الأحكام ، وتعلقها بالحلال والحرام ، مَعَ زهدٍ كان يأخذ

به نفسه ، وتعبد ، ورياضة ، واشتغال بذكر وقراءة ، وحسن طلب للعلم ، ودوام عمل ، وقال عنه ابن نقطة البغدادي الحنبلي : « كان عالماً فاضلا ثقة إماما . لو مُدَّ له من العمر ما عَشَرَهُ أحدٌ من أهل عصره » .

وقال ابن خَلِّكَان في ترجمته : « أحد الحفاظ المتقنين وعباد الله الصالحين ، غلب عليه الحديث ، وبرع فيه ، واشتهر به ، وصنف فيه وفي غيره كتبا مفيدة » .

وترجمه ابنُ العماد الحنبليُّ في « شذرات الذهب » فقال : كان فقيها حافظاً زاهدا ، ورِعاً ، متقشِّفا ، حافظا للمتون والأسانيد ، غلب عليه علم الحديث وصنف فيه تصانيفه المشهورة » .

ونقل السُّبكيُّ في « طبقات الشافعية » أن الحازمي « قدم بغداد عند بلوغه ، فاستوطنها ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وتميز وفهم ، وصار من أحفظ الناس للحديث وأسانيده ورجاله ، مع زهد وتعبد ، ورياضة وذكر .

إن الحازمي – باتفاق المؤرخين الذين ترجموه ، يُعَدُّ من أئمة علماء الإسلام ، ومن حفاظ الحديث النبوي الشريف ، ومؤلفاته فيه وفي علومه تشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع .

ولن نطيل بذكر ترجمته . أو الإشارة إلى من ترجمه من المؤرخين ، فقل أن يَخْلُوَ مؤلَّفٌ أرَّخَ حياة علماء عصر الحازميِّ من ترجمته .

وقد توفي ليلة الإثنين الثامن والعشرين من جمادي الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة – في بغداد عن ست وثلاثين سنة ، ونقل ابن العماد عن الأسنويُّ قوله : ولا نعلم أحداً ممن ترجمنا له توفي أصغرَ سِناً منه ، وتقدم قول الحافظ ابن نقطة : (لو مد له في العمر ما عشره أحد من أهل عصره) يعني ما بلغوا معشاره .

مؤلفات الحازمي :

وقد ألف الحازمي مؤلفات تتصل بالحديث وعلومه ، وصل إلينا أكثرها ، ومنها : —

١ — « الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار » قال عنه ابن العماد الحنبلي : لم يُصَنَّف في فنه مثله — وقد طبع الكتاب في الهند وفي الشام وفي مصر(٦) .

٢ — شروط الأئمة الخمسة — أي أئمة الحديث — وقد طبع أيضاً .

٣ — « عُجَالة المبتدي ، وفَضالة المنتهي » : في النسب ، قال في مقدمته : (ومن أصول الحديث معرفة الأنساب ، وأهمها معرفة أنساب العرب ، فإنها تنتسب إلى القبائل ، وهي تفانَت ، وطريق إدراك معرفتها النقل ، وأما العجم فإنها لاتكاد تنتسب إلى أب قديم إلا نادراً ، وأكثر انتسابها إلى الأمكنة والصنائع ، أما الأمكنة فأكثرها مشهورة مدركة بالأخبار المتواترة . غير مفتقرة إلى تَجَشُّم بَحْثٍ وتكلُّفِ سبرٍ ، إلا أمكنة يسيرة تحتاج إلى استكشاف إما لِبُعْدها عن حوزة الإسلام ، وإما لخمول ذكرها نحو القرى والجبال والأودية ، وهذه وإن كانت مفتقرة إلى البحث عنها لخفائها فلا تلحق القبائل في غموضها ، فإنها ربما لا تكون مشهورة في غير صُقْعها ، وهي معروفة في أصقاعها ، وأما القبائل فإنها مفتقرة إلى البحث التام ، فإن أكثرها أودت ، ومن بقى من نسلها تعذر عليه التمييز بين آبائه فضلا عن آباء غيره لقلة اكترائه بضبط أنسابه ، فرب رجل يزعم أنه عَدَوِيٌّ ، فلو قيل : من أيِّ عَدِيٍّ لا يستصعب عليه علم ذلك ، وأما الصنائع فهي مشهورة شائعة ، لاشتراكها بين العرب والعجم .

وقد ألف جماعةٌ من الإخباريين تواليفَ جمة في هذا العلم وأطنبوا فيها ، وذكروا ما يلزم الْمحَدِّثِيَّ معرفته وما لا يلزمه ، ولو تتبّع كتبهم لفات وقته ، والوقت عزيز ، فجمعت في هذا الكتاب – بعد ذكر مقدمة لابد منها في معرفة اصطلاح النساب – الأنسابَ المتداولةَ بين أهل الحديث ، ورتبتها على حروف المعجم ، وربما أذكر من كل قبيلة نسباً متصلا ، أو رجلا أو رجلين ، تنبيها للمبتدي ، ولم اذكر من الاختلاف والاشتقاق إلا اليسير) .

وقد حقق هذا الكتاب الزميل الكريم الأستاذ عبد الله كنون عضو (مجمع اللغة العربية) في القاهرة ، ونشره (المجمع) .

٤ – « كتاب الفيصل » في الأنساب أيضاً ولكن من ناحية أخرى ، قال في مقدمته : (أما بعد : فقد شرحت في كتابي هذا الأنساب المشكلة التي تتشابه في الخط ، وتتفق في الشكل والنقط ، ويدخلها التحريف ويقع فيها التصحيف ، مما يعرض في الانتساب إلى القبائل كالتَّيمِيّ ، والتَّيمى الأول ينسب إلى تَيْم قريش ، والثاني ينسب إلى تَيَم الرِبَاب . والانتماء إلى الأماكن كالطبريّ ، والطبرى الأول ينسب إلى طَبَرِسْتَان ، والثاني ينسب إلى طَبَرِيَّة واسط ، والاعتزاء إلى الصنايع كالْبَرَّاء ، والبَرَّاء الأول قيل له الْبَرَّا لأنه كان حاداً ، والثاني قيل له البراء لأنه كان يَبْرِي النَّبل . والاشتهار بالألقاب كالأصمِ ، والأصم الأول لقب جماعة كان بهم صمم ، والثاني لقب من التصامُمِ . أو كان مركبا من جنسين نحو الْجَنَدِيّ ، الأول ينسب إلى القبيلة ، والثاني ينسب إلى المكان إلى غير ذلك ، على ما سيأتي تفصيله في أبوابه ، مرتبا على حروف المعجم .

ومن هذا الكتاب مجلد في (دار الكتب الظاهرية) من مخطوطات أول القرن السابع الهجري ، وقد اطلع عليه ياقوت الحموي فكتب في

طرته : (كتب منه ياقوت الحموي) وقد كتب في بعض حواشيه اعتراضات على المؤلف واستدراكات ، وعن هذه النسخة نقل ما نقل في كتابه « معجم البلدان » من هذا الكتاب .

وذلك المجلد ينتهي أثناء حرف الدال ــ الدارى والدارى) ــ الورقة الـ ١٤٧ : وآخره : (وقال أحمد بن الفضل الباطرقاني : عبد الله بن كثير الداري ، قاريء أهل مكة ، الذين تمسكوا بقراءته وقلدوه القراءة ، وكان عطارا ، وكان يعظ الناس ويقصّ . توفي بمكة في أيام هشام بن عبد الملك سنة عشرين ومائة وكان رجلا فصيحاً . ونسبه ابن حَزم إلى الدَّارِيّ : وقال : لأنه كان عطارا(٧)). وقال أبو حاتم السجستاني : كان بمكة بعد التابعين عبد الله بن كثير ، من الأبناء ، أبناء فارس بصنعاء ، وهم الذين بعثهم كسرى إلى اليمن ، وكانوا في السفن حين طردوا الحبشة من اليمن . وأقاموا بها . قلت : ويحتمل أن يكون منسوبا إلى الجهتين ، القبيلة وبيع العطر .

وأبو الحسن أحمد موسى بن القاسم بن الصلب بن الحارث بن مالك بن سعد بن . . إلى هنا ينتهي الجزء ناقصاً .

ويقع في ١٤٧ ورقة ٢٩٤ صفحة ، في الصفحة ١٩ سطراً مكتوبا بقلم النسخي الواضح ، وبعض الحروف مهملة من الأعجام وفي الورقات الثلاث الأخيرة ترقيع أذهب أطراف السطور ، ورقمه في فهرس الظاهرية (٥٣٠ حديث) .

٥ ــ « المؤتلف والمختلف » تتمة الإكمال لابن ماكولا ، ذكر الحازمي نفسه هذا الكتاب من مؤلفاته في كتابه « الأماكن » الذي سيأتي الحديث عنه فقال في مادة (خوار وحوار) الخ : (أما الأول بضم الخاء وتخفيف الواو

وآخره راء : خوَار الرّيّ ، ناحية منها ، ينسب إليها أبو يحيى زكريا بن مسعود الأشقر الخواريّ ، حدث عن على بن حرب الموصلى وجماعة ذكرناهم في المؤتلف والمختلف) وقال في (طَرْق) من كتاب الأماكن: (وأما الثاني بعد الطاء راء ساكنة وآخره قاف : من قرى أصفهان ، قرب نَطَنْزةَ ، ينسب إليها جماعة من الرواة حدثنا من أهلها نفر ، ذكرناهم في المؤتلف والمختلف) .

وقال في (باب لُبْنَانَ ولُبْنانِ ولنْبَان) من كتاب الأماكن : (أما الأول بضم اللام بعدها باء ساكنة وبين النونين ألف ، فجبل بالشام . كان يسكنه الصالحون ، من الجبال المشهورة . وأما الثاني فمثل الأول غير أن النون الأخيرة مكسورة ، تثنية لُبْنٍ : جبلان قرب مكة (٨) ، الأعلى والأسفل ، وأما الثالث بعد اللام المضمومة نون ساكنة ، ثم باء تحتها نقطة قوية كبيرة بأصبهان ، منها أبو الحسن اللنباني ، راوية كتب أبي بكر بن أبي الدنيا ، وجماعة سواهم ، ذكرناهم في « تتمة الأكمال » في المؤتلف والمختلف) .

ويفهم من كلام السبكي — فيما نقله عن ابن النجار — أنَّ المؤتلف والمختلف في أسماء البلدان ، إلا أن الحازمي نفسه ذكر أنه تتمة لكتاب « الأكمال » وكتاب « الأكمال » لا يختص بالبلدان بل يشمل الأعلام المشتبهة والنسبة إلى القبائل ، وإلى المواضع ، وإلى غيرها .

وقد ذكر الأستاذ المحقق عبد الله كنون في مقدمة كتاب « عجالة المبتدي » أن من كتاب « المؤتلف والمختلف » نسخة مخطوطة في مكتبة (ستراسبورج) وأخرى بمكتبة (لالاى) باستنبول .

وأقول : يتبين مماجاء في كتاب «تاريخ الأدب الجغرافي العربي»(٩)

أن ذلك الكتاب الذي في مكتبة (ستراسبورج) يبحث في : (ما اتفق لفظه واختلف مسماه في الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة ، والمواضع التي ذكرت في مغازي رسول الله) . ولهذا هو كتاب « الأماكن » الذي هو في مكتبة (لالاى) وهو غير كتاب المؤتلف الذي هو تتمة لكتاب « الأكمال » .

٦ – كتاب « الأماكن » : سنتوسع في القول عن هذا الكتاب ، إذ هو موضوع البحث . والحازمي وإن قصد بهذا الكتاب ضبط أسماء المواضع التي لها ذكر في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازي أصحابه والولاة بعدهم ، أو الأمكنة التي نسب إليها بعض رواة الحديث ، إلا أنه أورد أسماء مواضع كثيرة في البادية وغيرها لا تدخل تحت ماذكر .

ويظهر أن المؤلف مات قبل إكمال كتابه هذا وقبل أن يضع له اسما ، ولهذا اختلفت عناوينه في المخطوطات التي اطلعت عليها فقد ورد في مخطوطتي (نوبنجن) في ألمانيا و (ستراسبورج) بعنوان : (كتاب فيه ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الأمكنة) وقد عولت على أقدم النسخ التي وصلت إلى وهي مخطوطة مكتبة (لا له لى) في (اصطنبول) وتاريخ كتابتها ٦٢٠ ولعلها هي التي اطلع عليها ياقوت ، لاتفاق ما ينقل عن الحازمي بما فيها ، ولو ورد محرفا .

بين الحازمي ونصر الإسكندري :

لعل أبْرَزَ عمل الحازمي في كتاب « الأماكن » يتجلّى بالضبط اللغوي للأمكنة المتشابهة في الخط فهو يقول مثلا : (كتاب الهمزة باب أُبلَّةَ وأُبْلَةَ وأُثْلَةٌ) : أما الأول بضم الهمز والباء المعجمة بواحدة

وتشديد اللام فالبلد المعروف قرب البصرة في جانبها البحريّ وهو أقدم من البصرة ، قال الأصمعي : هو اسم نبطي . وينسب إليه نفر من رواة الحديث منهم شيبان ابن فَروخ الأبُلّيّ .

وأما الثاني بفتح الهمزة وسكون الياء المعجمة باثنين من تحتها وتخفيف اللام ، فهي بلدة بحرية أيضاً ، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام . وينسب إليها جماعة من المتقدمين ، نحو يونس ابن زيد الأيليّ وعقيل ابن خالد وغيرهما .

وأما الثالث على وزن ما قبله ، غير بدل الياء ثاء مثلثة : موضع حجازيُّ من ناحية المدينة ، قال قيس بن الخَطيم :

بل ليت أهلي وأهل أثلة في دارٍ قَريب من حيث نختلف

وهو يتفق مع كتاب نصر (١٠) في هذا ، وقد يتفق معه في كثير من الأبواب بحيث يتطابق ما في الكتابين تطابقاً تاماً فكتاب نصر قد أورد ما سقناه عن كتاب الحازمي بهذا النص : (باب أَثْلَةَ وأيلة والأبلَّة :

أما أثلة بفتح الهمزة وثاء مثلثة ساكنة فموضع حجازيٌّ من ديار كنانة فيما أحسب . وأما أيلة مثله ، إلا أنه بياء تحتها نقطتان ، فالبلد المعروف بالشام على ساحل البحر .

قال ابن حبيب : أَيْلَةُ شعبة من رَضْوَى ، جبل ينبع . وقيل : أيلة آخر الحجاز ، وأول الشام . وأما الأبلَّة بضم الهمزة والباء الموحدة ، وتشديد اللام فهي أبلة البصرة ، قال الأصمعي : أصل هذا الاسم بالنبطية وكانت قبل الاسلام .

وقال غيره : الأبلة كانت تسمى بالنبطية بامرأة كانت تسكنها ، يقال

لها (هوب) خمارة فماتت ، فقال قوم من النبط : (ليكا) أي ليست . فغلطت الفرس فقالوا : (هوب لت) فعربتها العرب فقالوا : الأبلة) .

هذا قول نصر ، وذاك قول الحازمي (١١) .

وكتاب نصر كان معروفا في عصر الحازمي ، بل قد اختصره شيخ الحازمي أبو موسى المديني – كما ذكر ياقوت في مقدمة « معجم البلدان » . ولعل الحازمي اطلع على هذا المختصر أو على كتاب نصر فاتخذه أساساً لكتابه ، ولكنه أراد أن ينسب الأقوال التي فيه لأصحابها ، ويورد أدلة شعرية . غير أنه فاته ذلك في أبواب كثيرة ، وخاصة في آخر الكتاب .

وإذا أردنا أن نقارن بين الكتابين من حيث المادة فإنه يتبين لنا :

١ – كتاب نصر يقع في ٣١٠ صفحات في الصفحة ١٥ سطراً متوسط كلمات السطر ١٣ كلمة ، وعلى هذا تقارب كلماته ٦٠٠٠٠ كلمة .

٢ – أما كتاب الحازمي فيقع من ٣٩٤ صفحة في الصفحة ٢١ سطراً في السطر ٨ كلمات فيقارب المجموع ٨٢٠٠٠ كلمة .

وقد تتبعت كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها » تأليف نصر الإسكندري لأعرف مصادره ، ولأقارن بين من نقل عنه من العلماء ، ومن نقل عنه الحازمي فلم أعثر في كتابة عصره إلا على أسماء خمسة كتب هي كتاب « الجمسَل » في مادة (بضاعة) وكتاب « الجمهرة » لابن دريد في (عِتْوَد) و « كتاب عبد القيس » في (سدير) و « كتاب محارب ابن خصفة » في (خورم) و « كتاب بني كنانة » في (عنان) ولا أعرف لمن هذه الكتب الثلاثة .

ورأيته نقل عن ابن قتيبة من « كتاب المشكل » في (رؤوس الشياطين

والجواليقي في (نهروان) وابن حزم في (كداء) والأصمعي في (البحرين) وابن الأعرابي في (تَيْتَد) وأبو محمد الأسود الغندجاني في (ذو قرد) وأورد هذه المادة في حرف الألف سهوا فيما يظهر .

ومع أنه لم يورد اسم الأصمعي وهؤلاء الذين ذكرتهم سوى مرة واحدة فقد اطلع على كتاب « جزيرة العرب »(١٢) للأصمعي وأكثر النقل منه ولم يشر إلى ذلك .

كما اطلع على بعض شروح ابن السكيت لأشعار بعض المتقدمين ، فأكثر النقل أيضاً ، ولم يذكر ذلك ولم يذكره كما فعل مع غيره من المتقدمين .

ويبدو أن الحازمي يعني بناحيتين يَهْملهما نصر هما ذكر المنسوبين إلى المواضع وإيراد الشواهد ، من شعر وغيره .

وناحية ثالثة يمتاز بها كتاب الحازمي هي إيراد نصوص كثيرة عن المتقدمين من شواهد شعرية وأحاديث وأخبار وغيرها منسوبة إلى أصحابها .

وهو ينقل عن أئمة اللغة وعن غيرهم من العلماء المتقدمين فنجده نقل عن أبي الأشعث الكندي راوي كتاب عَرّام بن الأصبغ السلميّ المسمى « أسماء جبال تهامة » وهو مطبوع .

فقد نقل عن أبي الأشعث قرابة ستين مرة ، صرح باسمه في **٥٣** موضعاً منها . وها هي أسماء المواضع التي نقل فيها من كتاب عوام رواية أبي الأشعث الكندي : آره — أبلى — ثافل — بان — البحير — بقعاء برثم — حربة — الجار — الحشا — خيف —ساية — السد — السراة — الشراة

شغبفة – شمس – شرع – شوران – الصارى – الصحن – صفينة – الصعنبية – ظهران – عير – عوال – العيص – الغار – غران – غزال – فلاج – القفا – قوران – القيا – قنَّة الحجر – الفقبر – قدس – قرقد ذات القرنين – القعر – كلَّية – لحف – لقف – مَرّ – مرّان – هرشا مطار – معونة – مغار – هكران – التجير – النجل – وَبِعان – وَرِقان – المدار – المديبة – هرمة – ينبع – يَلَنْبَل .

ونقل عن الأزهري صاحب كتاب « التهذيب » ولم يسمّ الكتاب فيما يقرب من ٥٠ موضعا .

ونقل عن السكري في شرح شعر هذيل في ٣٧ موضعا .

وعن ابن حبيب . في ١٤ موضعا وعن أبي عبيدة ، ونص على كتابه « مقاتل الفرسان » .

ونقل عن أبي عبيدة أيضاً بواسطة الزبير ابن بكار عن آبار مكة .

نقل عن أبي عبيدة في ٣٨ موضعاً .

أما مؤلفو السيرة النبوية فقد صرح الحازمي ، بأنه اطلع على سيرة ابن اسحاق بخط أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات ، ووصفه بأنه صحيح الخط . محكم الضبط ، نقل عن السيرة هذه في ٢٧ موضعا .

وعن الواقدي صاحب « المغازي » في ٢٠ موضعاً .

وعن محمد بن سعد كاتب الواقدي في موضع واحد .

وعن مغازي موسى بن عقبة وقد اطلع عليها بخط أبي نعيم الحافظ

نقل عنها في ٤ مواضع كما نقل عن الزهري محمد بن شهاب في ٥ مواضع ، أحدها بواسطة موسى بن عقبة .

وعن الزبير بن بكار ، نقل تسعة نقول .

وهو ينقل عن آخرين من علماء اللغة مثل : ثعلب ، والأخفش والجوهري وابن دريد ، والنضر ابن شميل ، والمبرد ، وأبي أحمد العسكري كما ينقل عن السيرافي ، وابن الأنباري .

وعن المحدثين مثل البخاري ، وابن حزم وابن مَندة ، والخطابي ، والخطيب ، وأبي الفضل بن ناصر ، والدار قطني وغيرهم . وينقل عن شيخه أبي موسى محمد بن عمر المديني ، الحافظ الأصفهاني المتوفي سنة ٥٨١هـ وعن غيره ويسمي الكتب والعلماء الذين ينقل من أقوالهم .

ويأتي بشواهد شعرية من شعر هذيل ، ومن شعر كثير وغيره مما لا يتسع المجال لإيراده .

والحازمي على سعة اطلاعه كثير التحري ، فهو يقول مثلا :

(باب فَردة : أما الأول بفتح الفاء وسكون الراء جبل في ديار طَيٍ يقال له : فردة الشموس .

وماء لجوم في ديار طَيّ .

قال أبو عبيدة : لما قفل زيد الخيل من عند رسول‌الله (ص) ومن معه فتنكبوا في أرضهم وأخذوا به على ناحية من طريق طيىء حتى انتهوا إلى فردة ، وهو ماء من مياه جرم فأخذته الحمى فمكث ثلاثا ثم مات وقال قبل موته :

أَمُطَّلِـعٌ صبَحَى المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد ؟ !

كذا ذكره جماعة أهل اللغة ، ووجدت بخط ابن الفرات مقيداً في غير موضع : قردة بالقاف .

وقال الواقدي : ذو القردة من أرض نجد ، وقال ابن اسحاق : وسرية زيد بن حارثة ، الذي بعثه رسول الله (ص) فيها حين أصابت عير قريش فيها أبو سفيان بن حرب على الفردة ، ماء من مياه نجـد ، كذا ضبطه ابن الفرات بفتح الفاء وكسر الراء .

وقال غير ابن اسحاق : هو موضع بين المدينة والشام .

قال موسى بن عقبة : وغزوة زيد بن حارثة(١٣) ، بثنية القردة ، كذا ضبطه أبو نعيم بالقاف ، وهذا الباب فيه نظر ، وإلى الآن لم يتحقق لي فيه شيء) .

ونقل ياقوت هذا الكلام غير منسوب للحازمي .

وبالإجمال فإن الحازمي رحمه الله ، يتفق في كتابه مع نصر اتفاقا يكاد يكون حرفيا ، مما يحمل على الجزم بأنه اطلع على كتاب نصر غير أن كتاب الحازمي يمتاز على كتاب نصر بأن قسما كبيراً من المواضع أورد الحازمي تحديدها نقلا عن علماء ذكر أسماءهم واستشهد بأشعار كثيرة ، واطلع على كتب كثيرة لا نجد لها في كتاب نصر رحمه الله ذكرا(١٤) .

ونعيد القول بأنه ربما أخذ كتاب نصر فأراد أن ينسب ما فيه من أقوال إلى أصحابها ، ولكنه لم يتمكن من ذلك إلا في معظم الكتاب لأننا نجد آخره خالياً من الشواهد ومن نسبة الأقوال إلا ما ندر .

بين الحازمي وياقوت الحموي :

ونجد ياقوتا كعادته في كثير مما ينقل ، ينقل عن الحازمي فيصرح باسمه آونة ويهمل الاسم كثيراً .

وهو في مقدمة كتابه يقول بأنه اطلع على مختصر كتاب لأبي موسى المديني الأصفهاني ، شيخ الحازمي ، ولكنه في أثناء الكتاب يصرح كثيراً بأنه ينقل من كتاب نصر نفسه ، وفي بعض المرات ينقل – ولا يصرح – نصوصاً كثيرة نجدها في كتاب نصر وقد يكون اطلع أولا على المختصر ، وبعد أن شرع في تأليف « المعجم » وجدأصل كتاب نصر .

وياقوت كثير النقد لكلام الحازمي لما جاء في كتابه « البلدان » وفي كتابه « الفيصل » الذي اطلع ياقوت على القطعة الموجودة منه في دار الكتب الظاهرية في دمشق ، كما سبق أن أوضحنا ذلك . أما موقفه من كتاب « الأماكن» فلا يقف عند حد نقد مواضع منه بل يرمى الحازمي بالاختلاس وادعاء ما ليس له . قال في مقدمة « معجم البلدان » وأبو بكر محمد ابن موسى الحازمي له كتاب ما ائتلف واختلف من أسمائها ثم وقفني صديقنا الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار ، جزاه الله خيراً ، على مختصر اختصره الحافظ أبو موسى محمد بن عمر الأصفهاني ، من كتاب ألفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي ، فيما ائتلف ، واختلف من أسماء البقاع ، فوجدته تأليف رجل ضابط قد أنفد في تحصيله عمراً وأحسن فيه عينا وأثراً ، ووجدت الحازمي ، رحمه الله ، قد اختلسه وادعاه ، واستجهل الرواة فرواه ، ولقد كنت عند وقوفي على

كتابه أرفع قدره من علمه ، وأرى أن مرماه يقصر عن سَهْمه ، إلى أن كشف الله عن خبيئته ، وتمخّض المحض عن زبدته ، فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب نصر فقد نسبته إليه وأحلته عليه ، ولم أضع نصيبه ولا أخملت ذكره وتعبه ، والله يثيبه ويرحمه . انتهى .

وقد قسا ياقوت بكلامه هذا على الحازمي ، كما سنشير إلى ذلك .

ومن نقده للحازمي قوله في معجم البلدان : (السرير قال الحازمي : السرير وادي قرب جبل يقال له الغريف ، فيه عين يقال لها الغريفة ، وهذا خطأ من الحازمي ، فإن اسم الوادي الذي قرب جبل يقال له الغريف فيه عين يقال لها الغريفة ، التسرير أوله التاء المثناة من فوقها ، ذكر هنا ليحذر ولئلا يظن أننا أخللنا به وقد ذكر التسرير في موضعه) .

وكلام ياقوت هنا حق ولكن ما أكثر ما نقل صحيحاً عنه ولم يشر إلى ذلك .

ولقد استفاد ياقوت من كتاب الحازمي فنقل عنه كثيراً مصرحا باسمه في مواضع ، وغير مصرح في مواضع أخرى .

وقد صحح بعض أوهامه كما جاء في مادة (زخ) حيث قال ياقوت : (قال محمد بن موسى . (ز خ) بالزاي والخاء بلاد خراسان ينسب إليها الرواة وهذا سهو منه إنما هو (رخ) بالراء المهملة والخاء المنقوطة) . انتهى .

ويظهر أن النسخة التي اطلع عليها ياقوت هي النسخة الموجودة في مكتبة (لا لا لى) في السليمانية في أسطنبول .

والغريب أن ياقوتا رحمه الله ، يدفعه تحامله على الحازمي ، إلى أن يخطئه فيما سبقه إلى القول به نصر الأسكندري ، وفيما قد لايكون أخطأ فيه ، ومن ذلك ما أورده في معجم البلدان من قول . (وذات القن أكمة على القلب جبل من جبال أجا عند ذى الجليل – واد – كذا قال الحازمي وفيه نظر ، لأن ذا الجليل عند مكة ، وقال أنه أكمة بأجا ، وبين أجا وبينه أيام ولعل أجا غلط وسهو ، وأنشد للكميت بن ثعلبة جد الكميت ابن معروف ثم أورد بيتين من الشعر .

وأقول :

١ – ما نقده ياقوت هو نص كلام نصر .

٢ – معروف أن الجليل هو الثمام ، والأودية التي تنبت الثمام كثيرة وما المانع من أن يكون عند أجا واد بهذا الاسم ؟ .

٣ – الاسم الواحد قد يطلق على عدة أمكنة ، وياقوت له كتاب مطبوع معروف في هذا الموضوع هو « المشترك وضعاً المفترق صقعا » .

٤ – ياقوت نفسه ذكر أن الجليل واد بقرب أجا بعد ما ذكر الجليل الذي قال إنه بقرب مكة .

٥ – البيتان لم يورد هما الحازمي ومنطوق عبارة ياقوت تدل على أنه هو الذي أنشدهما .

ولا أطيل بإيراد شواهد من نقد ياقوت لكتاب « القيصل » وهو وإن لم يخل من تحامل ، ففيه حقّ . ولا يؤثر هذا في مقام إمام جليل .

ومن ذا الذي تُرْضىَ سجاياه كلها كفى الْمَرْءُ نُبْلاً أنْ تعدّ معايبه

الهوامش

(١) أنظر كتاب « في سراة غامد وزهران » ص ٢٦ لتدرك قربيهما من أبيدة (بيدة) .

(٢) مخطوطة (لا له لى) الورقة الثانية .

(٣) صفحة ٥٥ طبع (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٤) أنظر مجلة « العرب » : ج ٨ ص ٧٥ (سنة ١٣٩٣هـ) .

(٥) أنظر غزوة (العشيرة) في « صحيح البخاري » .

(٦) وقرأته على شيخنا الشيخ أحمد المغربي في الحرم المكي الشريف سنة ١٣٤٩هـ .

(٧) كان المسك يرد إلى بلاد العرب بطريق ميناء (دارين) في جزيرة (تاروت) قرب القطيف فنسب المسك إليها فقيل « الداري » نسبة إلى دارين .

(٨) لا يزالان معروفين ، يطلان على الشرائع ، في جهة مكة المكرمة وهناك يفتحون اللام .

(٩) ١ / ٣٢٣ .

(١٠) هو نصر بن عبد الرحمن الفزاري الاسكندري ، أنظر عنه وعن كتابه « العرب » : ٦ / ٦٧٣ .

(١١) وفات نصر والحازمي (أبلة) من أودية حرة خيبر المعروفة ، ذكره الهجري .

(١٢) جل نصوص هذا الكتاب في كتاب « بلاد العرب » للغدة الأصبهاني من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(١٣) فردة التي بلغتها سرية زيد بن حارثة بالقاء والتي مات فيها زيد الخيل وهي الواردة في شعر لبيد ، ولا تزال معروفة – أنظر لتحديد موقعها كتاب « شمال المملكة » رسم فردة – وهو أحد أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

(١٤) ولكتاب نصر ميزة على كتاب الحازمي فهو في آخر كل حرف من حروف الهجاء يسرد أسماء كثيرة من المواضع المبدوءة بذلك الحرف ويحدد مواقعها . وهذا ما لا نجده في كتاب الحازمي .